مقال عن التانكا نشر في مجلة "فيلينغز" دورية تعنى بالشعر و الفكر الشعري

بقلم: جين ريتشهولد

تتوقف عن قراءة هذا المقال لأنك لا تهتم بهذه الأشكال الشعرية القصيرة أعطني فرصة التوسع في شرح بعض الأساليب الشعرية للتانكا التي يمكن الإستعانة بها في أي نوع أدبي آخر، أعني أساسيات المناورة التي يمكن أن تساعد في تطوير شيء من مواطن الضعف في إرثنا الأدبي في الغرب. فهذه المباديء صمدت في وجه الزمن مثلها مثل التانكا التي لم يسبق أن صمد أي شكل شعري كما فعلت.

عندما بدأ تحرير التاريخ الياباني منتصف القرن السابع الميلادي كان قد اجتمع موروث شفهي ضخم من الأوتا (أو الأغاني) في شعر الواكا الذي كان حينها مثل التانكا الآن يتكون من خمسة مقاطع. كانت اليابانية حينها كما هي الآن تكون عباراتها تلقائياً إما قصيرة بخمس أونجيات (الأونجي هو مقطع صوتي عادة ما يتكون من حرف ساكن و حرف علة) أو طويلة من سبع أونجيات. اللغة اليابانية تستخدم بدلاً من علامات الترقيم كلمات صغيرة من أونجي واحد أو اثنتين لتشير إلى الوقف في الأبيات و لتعطيها النغمة المطلوبة سواء كانت إستفهاماً أو تعجباً. بسبب الإلمام الطبيعي بتراكيب العبارات النحوية التي قد تم ضبطها في الشعر الياباني غاية الضبط كان القاريء الياباني يتعرف على مواضع الوقف التي تشطر الأبيات. و لهذا كانت التانكا اليابانية حينها تكتب في سطر أو سطرين عموديين. اللغة الإنجليزية تفتقر لمثل هذه الخاصية و لذلك عادةً ما تكتب التانكا المترجمة في خمسة أسطر أو أبيات للإشارة لمواضع الوقف و إعطاء القاريء فرصة إختبار نفس الإحساس بالوقف و التحول.

إما لإهمالهم لهذه العوامل أو لأنهم ببساطة لم يفهموا الغرض منها فإن بعض أوائل المترجمين قاموا بترجمة التانكا على شكل رباعيات و هو الشكل الوحيد الذي عرفوه كونهم غير شعراء. التانكا الآن تأخذ مكانتها كنوع في الشعر الانجليزي، و أحد أهم ميزاتها هو شكلها الذي يعتمد على نظام السطور الخمسة.

الانجليزية تختلف عن اليابانية و لهذا لا يمكننا أن نتبع أساليب اليابانية لنصل لنفس النتيجة/شكل القصيدة. إذا كتبنا خمسة أسطر بنظام المقاطع التالي ٥-٧-٥-٧-٧ فسينتهي بنا الأمر بتانكا أطول بمقدار الثلث من نظيرتها اليابانية. في الانجليزية هناك ثلاث طرق متباينة لكتابة التانكا:-

أولاً:- كتابة خمسة أسطر بنظام المقاطع ٥-٧-٥-٧-٧ و لكن باستخدام المقاطع الصوتية كما هي في الانجليزية.. هذه الطريقة تعد "تقليدية" بالنسبة للبعض بينما يدعي بعض اليابانيين أنها التانكا "الحقيقية" الوحيدة حتى لو حصل ذلك على حساب الإيجاز المطلوب. بعض مؤلفي التانكا يستخدمون هذه الطريقة دون أن يشغلوا بالهم بكتابة تانكا انجليزية توافق اليابانية في قصرها، و هناك من إلى جانب هذا يسمح للكلمات أن تصاغ في إيقاعها الطبيعي الخاص.

ثانياً:- كتابة خمسة أسطر بحيث تكون قصيرة – طويلة – قصيرة – طويلة – طويلة و هكذا ينبغي أن تبدو مكتوبة على الصفحة.هكذا، بعض الشعراء يكتبون التانكا بأسلوب ياباني و بكلمات انجليزية.

ثالثاً:- "التجريبية" حيث يقول الشاعر ما يريده كما هو دون أن يبذل أي جهد في إعادة كتابة أو صياغة أبياته لتوافق أي شكل بعينه. أحد سلبيات هذه التانكا هي أنها قد تميع الحدود الفاصلة بين التانكا و الهايكو بإيجازها المفرط.

التانكا جديدة على اللغة الانجليزية و لهذا فأنا أبذل ما بوسعي للحفاظ على الإنفتاح في شكلها دون تحديد قواعد أو حدود فاصلة أو القول بأن على القصيدة أن تكون كذا و كذا لتعتبر تانكا. أنا أشجع الكتاب الجدد – و كلنا جدد الآن!!- أشجعهم على الوصول إلى قواعدهم الخاصة التي يحكموا بها شعرهم بعد أن يفاضلوا بين القواعد الموجودة حتى يجدوا ما يناسبهم و يناسب خطابهم و أسلوبهم الكتابي.
تاريخ التانكا عريق جداً يصل إلى ألف و ثلاثمئة عام تغيرت فيه الكثير من القواعد التي تحكمه ما يجعل أمام الشاعر العديد من الأساليب المتنوعة التي له أن يتبع أياً منها بحيث يبقى مشمولاً في عوالم التانكا.
يبقى أن نذكر ما الذي يجعل هذا النوع الشعري محبباً للناس و ما الذي ساعده ليصمد كل هذا الوقت و يحتفظ بشعبيته الجارفة في اليابان. لا شك أن شكل التانكا كان مأخوذاً عن الرباعيات الصينية التي أخذها الصينيون بدورهم من رباعيات الغزل من الفرس و العرب. عام ١٩٨٧م كان هناك شابة يابانية تدعى ماتشي تاوارا بدأت للتو عملها كمعلمة، أصدرت ماتشي كتاب تانكا بعنوان " سارادا كينيبي " أو " ذكرى سلطة " باع في اليابان لوحدها ما يزيد على ١١ مليون نسخة. كل عام في إحتفال يوم رأس السنة الجديدة يشارك الإمبراطور و عائلته الملايين من العامة في كتابة قصائد تانكا حول مواضيع معينة قبل أن يتم إنشاد مختارات منها أمام البلاط الملكي ثم يتم حفظها باعتبارها كنزاً وطنياً.

كيف تختلف التانكا اليابانية عن الأشكال الشعرية الأخرى في لغتنا؟ و مالذي قد يضيفه التعرف عليها لأسلوبك ككاتب؟
الكتاب اليابانيون يستعملون الإستعارة بطريقة جديدة بالنسبة لنا نحن الغربيين فنحن معتادون على لفت النظر إلى إستعاراتنا و تشبيهاتنا بإستخدام أدوات التشبيه (مثل- حرف الكاف) أو حتى وضع الفعل (يشبه). اليابانيون يحرصون على تورية إستعاراتهم و إخفائها، فالإستعارة عندهم تعتمد على التراص (وضع الصور الذهنية جنباً إلى جنب). القارىء هو الذي يفترض أنه سيحل المعادلة أو يتم المقارنة أو يربط بين الصورتين في ذهنه. أعلم أن الأمر قد يبدو غاية في البساطة، لكن عندما لا يأتي ذكر العلاقة بين صورتين تم عرضها بشكل إحترافي فإن القارىء حينها سيكون مجبراً على أن يخلق لوحة مما يقرأ ثم يبحث هناك – في ذهنه – عن الفكرة المقصودة و المغزى منها.

من المعروف أننا نتعلم بشكل أفضل عندما نكتشف الأشياء بأنفسنا بدلاً من أن نلقن حقائق ينبغي حفظها. هذه الفلسفة تنسحب على الشعر أيضاً. عندما تعرض على القاريء مجموعة من الصور – و ينبغي أن تكون صوراً صماء و ليس تجريديات يعتمد عليها الأغلب من الشعر الغربي – هذه الصور ستستدعي في الذهن مشاعر على مستوى الل شعور لدى القاريء. إن كانت متعارضة في البداية، فسيجبر راغباً على الإنتقال من صورة لأخرى، و بهذه التقلة يصل لرؤية الصورتين في علاقة جديدة. بإقتضاء مشاركة القاريء في صنع الإرتباط بين الصور فأنت تضمن منه الإنتباه على الأقل، و إن كنت قد استخدمت صوراً ذات مغزى في شكل عاطفي فستضمن قلبه أيضاً.
لنجرب هذا. هذه قصيدة من أنطولوجيا إمبراطورية يابانية (الكوكينشو) و نشرت عام ٩٠٥ م، كاتبها مجهول ما يعني على الأرجح أنها إمرأة:

if there is a seed
the pine will sprout
even among boulders
if I love and keep on loving
will we not meet someday?

لو كانت هنك بذرة،
فستورق الصنوبرة..
حتى و إن بين الصخور..
لو أحببت و بقيت على حبي،
ألن نلتقي ذات يوم؟؟

هذه القصيدة مثال واضح للطريقة اليابانية. تتحدث عن الطبيعة و ما هو طبيعي بطريقة تجعل السطر (الثالث هنا) قابلاً لتمثيل المشهدين/الصورتين في القصيدة. عبارة "بين الصخور" تصف الأرض التي قد تسقط فيها بذرة الصنوبر كما إنها إستعارة للعثرات التي تملأ طريق العشاق. عبارة كهذه تدعى "المحور" لأنها نقطة تغير تبدل موضوع القصيدة لتشبر لمو ضوع آخر. حاول أن تقرأ أول ثلاثة أسطر، ثم اقرأ أخر ثلاثة أسطر. ألا ترى أن كلاً منهما هي وحدة متكاملة بذاتها؟ هذا هو هدفك، لن تصل كل القصائد لهذا المستوى العالي لكن القصائد المتفوقة ستفعل.

عن موقع وادي العبقر الياباني
https://yapanpoetry.wordpress.com/